مجلة "دراسات تاريخية" ملف (٢)

"التاريخ وعلم الآثار"

أ.د. عفيف البهنسي

"التاريخ وعلم الآثار"

أ.د. عفيف البهنسي

مراحل كتابة التاريخ من خلال الحكاية:

أناب المؤرخون في الغرب أنفسهم لكتابة تاريخ المنطقة العربية اعتماداً على الحكاية التوراتية، ومازال تاريخنا القديم مشوهاً. وأسكتت هذه الدراسات كل جنوح نحو البحث عن تاريخ المنطقة، وهو جزء من السياسات الاستشراقية التي وصفها ادوار سعيد بالانحراف نحو تأكيد التفوقية الحضارية لشعوب المستشرقين على شعوب الشرق. لكن كيف أصبحت التوراة ناموس العقيدة المسيحية في أوروبا؟ وكيف أصبحت السياسة الأوربية نصيراً في مرحلة ما للصهيونية؟ سنقرأ جواب هذا السؤال في كتاب "الصهيونية غير اليهودية" لمؤلفته ريجينا الشريف[١].

تختلف التوراة عن الإنجيل الذي اعتمد المسيحيون في العالم ومنذ قسطنطين الأول (٣١٠م) عليه فقط. ولم تكن التوراة مصدراً من مصادر العقيدة المسيحية في أوروبا، ولكن الإصلاح الديني الذي دعا إليه مارتن لوثر في القرن السادس عشر ونشره كتاباً بعنوان "عيسى ولد يهودياً"، ونادى بحسن التعامل مع اليهود "وعدم اضطهادهم وعدم معاملتهم كالكلاب"، فسح في المجال للاهتمام بالعهد القديم. وتبعوه البروتستانت الذين خضعوا إلى مهادنة اليهودية ودعوا إلى دراسة التوراة واعتمادها، وأصبحت التوراة جزءاً من طقوسهم الكنسية، ممّا أعطى الفرصة لليهود في أوروبا أن يعلنوا منذ القرن السادس عشر عن شخصيتهم كأمة، وأن يتعاونوا مع البروتستانت لإعلان أساطيرهم الثلاث، الشعب المختار، والبعث اليهودي للمسيح، وأرض الميعاد.

---

[١]- ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية – عالم المعرفة ٩٦- الكويت، ١٩٨٥.

وفي بداية القرن العشرين كان المبشرون الإنجيليون قد سلموا نهائياً "بحقوق الشعب القديم" وكانوا هم أصحاب الشعار الذي اعتمدته الصهيونية "وطن بدون شعب لشعب دون وطن". وفي صك الانتداب على فلسطين تم اعتماد وعد بلفور بإنشاء دولة "اسرائيل"[٢].

علم الآثار بوصفه مصدراً موثقاً للتاريخ:

مصادر التاريخ:

يرى علماء الآثار أن كتابة التاريخ تعتمد على الأثر المكتوب وعلى الشواهد الحضارية، وأن الحكايا المختلفة جميعها، التي كونت حدثاً في التاريخ، مازالت مضللة مهما كان حدسنا التاريخي عالياً، وأن لا سبيل إلى فهم حقيقة التاريخ ودور الإنسان في تكوينه (الإنسان السياسي والاقتصادي والعالم والفنان والمعمار والعامل) إلا عن طريق الأثر والوثيقة، لذلك فإن الطريق إلى التاريخ ليس الأدب والشعر والحكايا كما في الأوديسة الإغريقية وتوراة أحبار اليهود، بل هو في الأركيولوجيا، أي الحفر في أرض التاريخ لكشف حقيقة التاريخ من خلال أثر الإنسان، والبحث من خلال أجناس الإبداع الأخرى عن المناخ الفكري والأخلاقي والمعرفي الذي يحدد ملامح العصر ويساعد على توضيح الأسباب والمواقف.

وبصوره عامة فإن مصادر التاريخ ليست الأحداث التي كثيراً ما ترد في كتب التاريخ مقلوبة، بل هي الشواهد الحضارية من أوابد أثرية وتراث فني التي لا يجوز فيها التأويل والتحريف، لأنّها الشاهد الأكثر بلاغة عن التاريخ، أو الهوية القومية، أو ما يسميه أحد

[٢]– نضع تسمية "إسرائيل" ضمن أقواس صغيرة للتحفظ عليها ورفضاً لها، وكذلك الأمر مع كلّ التسميات المتعلقة بها، ونستخدمها بقصد ربط ما تقوم به من خروقات وأخطاء باسمها تحديداً.

الفلاسفة (الذاكرة المشتركة) التي تجعل التراث الإنساني ماثلاً في الحاضر، كما هو ماثل في الماضي.

كان التاريخ يعتمد على الحكاية، واستمرت أوروبا ألف عام تكرر الأساطير الإغريقية والتوراتية كأنها أحداث لا شك بها، وكذلك الكنيسة منذ عهد ثورة لوثر الإصلاحية –على الأقل– أصبحت لا تعرف العهد القديم إلا من خلال الحكايا التوراتية.

ولكنه في عصر التنوير كان لا بدّ من تدخل العقل للكشف عن الخيال التاريخي وعزله في زنزانة الخرافة، وأصبح الماضي قضية علمية منذ أن ظهر علم الآثار وتحدث المؤرخون عن تاريخ الحضارة، ولم يعد للكهان والفقهاء مكان في مجال الحديث عن الحكايا التاريخية.

علم الآثار لإعادة كتابة التاريخ القديم:

كان همنا في المديرية العامة للآثار أن نجعل العمل الأثري طريقاً لتصحيح التاريخ القائم على الحكاية، وجعل هذا العمل جهاداً لتحرير التاريخ من الأساطير والحكايا والمطامع المقدسة، وجعله علماً يقوم على المدونات والآثار والبحوث العلمية المحضة، إذ عندها فقط نستطيع أن نقرأ تاريخنا، ونمسح من الذهن المسيحي في العالم الخلفية والخيال التوراتي، وأن نستبدل بذلك الحقيقة التي هي موئل الفكر الأوربي العلماني الحديث.

وقد تحول علماء الآثار، العاملون في بلادنا على الأقل، إلى المنطق واليقين العلمي وكانوا قد ابتدأوا سدنة للمنطق التوراتي، وهو أخطر تحول حققته السلطة الأثرية عندما كانت تلتزم أهدافاً قومية صريحة، وتفرض هيبتها العلمية على عمليات الحفر الأثري.

أثر هذا التحول كثيراً في الفكر الأثري العالمي، وانحسرت السياسة الصهيونية المدسوسة في المراكز الأثرية العالمية، وتعالت أصوات العلمانيين الأثريين، ممّا يبشر بنهاية عهد هيمنة الحكاية التوراتية على التاريخ، وانفتاحه على الحقيقة العلمية وعلم

الآثار، وفي ذلك انتصار كبير لنا كعلماء وكأصحاب قضية، في فك العلاقة العقائدية بين التاريخ والتوراة، وبين العلماء والكنيست، وبالتالي بين الحق وبين الجور.

ويتجلى انتصار علم الآثار في ما يؤكده الكشف الأثري كل يوم من أن الحكايا التوراتية هي خارج المكان والزمان، ولم تكن موجودة في التاريخ إلا في أوهام من كتب التوراة، بل أصبحت "إسرائيل" فضيحة السياسة العالمية التي آمنت بالوهم والخداع لتبرير الاستيلاء على أرض ليست لـ"إسرائيل" لا تاريخياً ولا حضارياً، بل هي لسكانها العرب الذين أقاموا عليها دياناتهم، وثبتوا عقائدهم، وكانت مهداً لحضارتهم ولأحداثهم التاريخية الموثقة والمؤكدة بالكشوف الأثرية، إنها فضيحة الحكايا التوراتية التي كانت سبباً في تغيير تاريخ منطقتنا العربية وجغرافيتها ظلماً، وفي إثارة النزاعات والحروب، وفي هدر الطاقات والكرامات الإنسانية والقومية خلال سبعين عاماً.

كتابة التاريخ الحقيقي وقراءته:

كان عالم الآثار أحدَ رجلين، إمّا عالم يبحث عن الحقيقة التاريخية من خلال البحث والكشف لرسم مستقبل أفضل، أو إرسالي يحاول تأويل المكتشفات لمطابقتها مع التوراة . ولابدّ من القول: إن عدداً من الإرساليين مازال يتابع مهماته ضمن نطاق المعاهد والبعثات التوراتية المعروفة لدينا، ومازالت بحوثهم التي تنشر في مجلات توراتية خاصة صريحة في أهدافها الإرسالية التي كثيرا ما تتعارض مع الواقع الأثري المكتشف، ومع هذا فإن حجم المعرفة التوراتية لم يصل بعد إلى أوليات المعرفة التاريخية العلمية الراهنة.

كانت حكايا التوراة مصدراً تاريخياً وحيداً عن العهد القديم عندما كانت المكتشفات الأثرية معدومة، وكان الاعتقاد أنّ ما ورد في التوراة من أزمنة وأمكنة إنّما يعود إلى فجر التاريخ الذي كان محصوراً في هذه المنطقة من الرافدين إلى النيل، المنطقة التي كانت تشكل رقعة العهد القديم. ومع أنّ هذه الرقعة اشتملت على أقدم الحضارات، وكانت

مسرحاً لأحداث تاريخية لا حصر لها، فإن التوراة لم يتناول هذه الحضارات وهذه الأحداث بل ركز على أحداث شخصية ضيقة أو عارضة لا قيمة تاريخية لها.

وبالمقابل قدمت المكتشفات الأثرية أعداداً ضخمة من الرقم المسمارية والأختام والشواهد التي عرفتنا بتاريخ طويل وحضارات متعددة ظهرت في بلاد الرافدين ومصر وسوريا. ولأنّ معرفتنا هذه ترتكز على شواهد ووثائق أصلية، فإنّها معرفة علمية لا مجال للطعن بها، على نقيض أخبار التوراة فهي حكايا سردية متأخرة عن تاريخها اختلط فيها الوهم والغرض، ليس بالإمكان عدّها مصدراً صالحاً وكان هذا تحولا مهماً في تاريخ البحث الأثري الذي اعتمد على فحص الفخار؛ إذ نستطيع تحديد تاريخ الفخار أو أي جسم عضوي عن طريق فحص تبدد أشعة الفحم ١٤ فيه، خلال خمسة آلاف عام، لمعرفة أعمار المراحل والأحقاب لكتابة تاريخنا.

علم الآثار وإخفاق الحكاية في كتابة التاريخ الصحيح:

الخطوة العملية في اعتماد الحكاية التوراتية تمّت في بيان بروتوكولات حكماء صهيون[٣] التي وضعت كخطة في مؤتمر بال ١٨٩٨ بإشراف هرتزل، وتنص هذه التعاليم والخطط على دعوة اليهود للسيطرة على العالم أجمع، وتأسيس حكومة ملكية استبدادية مقرها أورشليم أولاً، ثم تستقر إلى الأبد في مدينة روما.

كان هدف جمعية صندوق استكشاف فلسطين[٤] التي كانت وراء البعثات الأثرية، البحث وفق منهج دقيق ووثيق، في آثار الأرض المقدسة وطبوغرافيتها وجيولوجيتها وجغرافيتها الطبيعية، وعادات سكانها وتقاليدهم. وكان من أبرز من قام بالتنقيب في

[٣])- بروتوكولات حكماء صهيون – الترجمة العربية لكتاب ملرسدن – نشر دار الحرية- دمشق- ٢٠٠٨.

[٤])- خيرية قاسمية: نشاطات صندوق استكشاف فلسطين –من ١٨٦٥-١٩٦٥- شؤون فلسطينية – ١٠٤-

بيروت Exploration fund of Palestine

فلسطين والأردن فيما بعد غلوك الذي قال: "كلما كنت أذهب مستكشفاً كنت استعمل التوراة كدليل للآثار، وأثق ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهدها وحتى تلميحاتها".

ومنذ العام ١٩٥٢ قامت العالمة كينون بحفرياتها في الأرض المقدسة[٥]، فنقضت أكثر ما جاء به البرايت، ولاسيما ما يتعلق بمزاعم تاريخية توراتية، وابتدأت أعمال التنقيب تسير باتجاه أكثر موضوعية لاعتمادها على فحص الفحم ١٤. وهكذا فإنّ المحاولات الاستشكافية جميعها في فلسطين والأردن وسوريا لم تقدم أي دليل قاطع على أن ما ورد في التوراة كان حادثاً تاريخياً، ولم تؤكد أن المواقع التي وردت فيه تتطابق في وضعها وعلاقتها ببعضها مع ما هو قائم في فلسطين.

تحولات التاريخ من الحكاية إلى علم الآثار:

اندفع إلى التنقيب والبحث، على ضوء التوراة، كل من لبرايت ورايت Wright وغيرهم. ثمّ ابتدأت معارضة اتجاههم من العالم فنكلشتاين Finkelstein ووايتيلام Whitelam وطومسون Thomson الذي حورب بشدة، وطرد من جامعته وتلقته جامعة كوبنهاغن في الدانمارك، واعترفت أن طومسون كان دقيقاً في بحثه وشجاعاً في مناهضته للأفكار غير العلمية.

كان المنقبون يربطون مكتشفاتهم بالتاريخ التوراتي، فكانوا يعتمدون على ما ورد في سفر الخروج وسفر يشوع (الإصحاح ٧-٩-١٠)، وفيه أن العبرانيين خرجوا من مصر بقيادة موسى، ثم تاهوا في سينا، وعند مرورهم من شرقي الأردن (كما في سفر العدد) احتل موسى والقبائل الاثنتي عشرة جزءاً من أراضي مؤاب، وبعد مقتل موسى من جماعته، في موقع يسمى نبو، تولى القيادة يشوع ابن نون فقطع نهر الأردن إلى أريحا. ويخبرنا سفر يشوع أن أريحا كانت مدينة كنعانية مسوّرة ومنيعة، وأن العبرانيين لم يتمكنوا

---

[5]) -(Kenyon : Archaeology in the Holy Land- London-1979

من اختراق أسوارها إلّا بمعجزة من يهوه الذي هدم الأسوار أمام العبرانيين الذين طوفوا حول الأسوار سبعة أيام وهم ينفخون بالأبواق احتفالاً، ثم دخلوا أريحا فهدموها كلها وقتلوا سكانها[٦].

على هدى هذه الأخبار التي فرضت على الأثريين بوصفها توراتية مقدسة، فإن الأثري غارستانغ Garstang خلال حفرياته عام ١٩٣٠-١٩٣٦ في أريحا[٧]، أعلن أنه عثر على شواهد تؤكد تدمير أريحا زمن يشوع، إذ اعتقد أنها كانت محصنة بسور كان الإله يهوه قد هدمه أيام يشوع، كما تقول التوراة.

ولكن السيدة كاتلين كينيون Kenion قامت في أريحا ١٩٥٢-١٩٥٨ بحفريات مهمة كانت سبباً في هزيمة الأفكار والاستنتاجات السابقة جميعها[٨]، وكانت السبب في إعادة النظر في كلّ ما كان يعدّ من المسلمّات، وأثبتت اعتماداً على فحص الفخار أن سور أريحا المكتشف يعود إلى العصر البرونزي القديم، وكان هذا تحولا مهماً في تاريخ البحث الأثري، وأنه لا صحة ولا حجة من أن العبرانيين احتلوا أريحا، ولاسيما أن سفر القضاة يتحدث عن معاركهم وأنه لا يوضح أنهم احتلوا فلسطين كلها، بل هم "الخبيرو" الذين كانوا طبقة من المحاربين المرتزقة ذوي أصول حضارية ولغوية مختلفة كما يرى ميك.

وفي عام ١٩٦٠-١٩٦١ استمرت السيدة كينيون العالمة البريطانية بالتنقيب في القدس[٩] معتمدة على تاريخ الفخار المكتشف، استطاعت هذه العالمة الجريئة أن تنقض الفرضيات جميعها التي قامت على المدلول التوراتي غير العلمي بنظرها، ولم يلبث الذين خالفوها جميعهم في البداية أن أعلنوا صواب اكتشافاتها وموضوعيتها.

---

[6])- K. Kenyon : Degging up Jericho– London -1960

[7])- Garstang : The Storty of Jericho- London -1948.

[8])- Keinyon : Degging up Jericho…,

[9])- Kenyon : Degging in Jerusalem – London -1970.

التنقيبات "الاسرائيلية":

لم يكف النشاط الأثري الصهيوني عن البحث عن تاريخ اليهود في فلسطين، فمنذ عام ١٩٢٥ اهتمت الجامعة العبرية بالتنقيب الأثري. وكان سوكنيك Sukenik أول من نقب عن الآثار، وهو والد الجنرال إيغال يادين، وبعد أن يئس من بحثه التوراتي، اتجه للبحث عن القبور اليهودية في العصر الروماني الميلادي، أي في القرن الثاني والثالث. ثم قام يادين نفسه بحفريات في حازور (قرب الحولة) بين عامي ١٩٥٥–١٩٥٨.

تتأكد أهمية علم الآثار لكتابة تاريخنا نتيجة البحوث التاريخية والتنقيبات الأثرية التي تقام بقيادة علماء من العالم ومن "إسرائيل" ذاتها، وقد كان دافع "الإسرائيليين" في التنقيب الأثري هو تأكيد وجودهم على الأرض المحتلة، وتثبيت حكايا سفر الرؤيا من نبوءة بظهور المسيح المنتظر، الذي سيقيم مملكة الرب في الأرض فيما ورد من تاريخ "إسرائيل" ومن أساطير ومطامع تتركز في ما أورده كتاب التوراة في قيام دولتهم التي ستدوم ألف عام، ومن الوعد الذي قطعه الرب يهوه لإبراهيم بمنحه الأرض من النيل إلى الفرات، وذلك لتبرير قيامهم دولة "إسرائيل" لتدوم ألف عام على أرض تقع بين النيل والفرات.

ولكن في دراسة موسعة شاملة أصدرتها دورية فرنسية مشهورة هي (الملفات الأثرية)[١٠]. خصصتها لمدينة القدس تاريخياً وأثرياً. اعتمدت على الأثريين "الإسرائيليين" أنفسهم، وعلى نتائج تنقيباتهم في مواقع مختلفة، وقد عرضت المجلة مجموعة مهمة من الصور التي تمثل مواقع التنقيب ونتائجها. وليس في هذه الدراسات والصور ما يشير أو يثبت الوجود "الإسرائيلي" والتاريخ "الإسرائيلي" في هذه المنطقة. وفيما يأتي عرض لأهم ما ورد في هذه المصنفات.

---

١٠)– دورية فرنسية مشهورة هي (الملفات الأثرية): Les Dossiers d' Archeologie, Paris, No-165-166.

يعترف الأثري "الإسرائيلي" بروسحي أن التنقيب الأثري قبل حرب ١٩٦٧ كان مرتبطاً بالسلطة الأردنية وكان الأثريون ينقبون موضوعياً. وبعد ذلك التاريخ يعترف أن السلطة "الإسرائيلية" وجهت التنقيب الأثري نحو مدينة القدس وحصراً في ما يسمى بمدينة داوود وفي المنطقة التي يعتقدون أن الهيكل أُنْشِئ عليها، مع البحث في الأحياء اليهودية القديمة، ويقدم هذا الأثري ثبتاً بالتنقيبات المتعاقبة التي جرت في هذه المناطق مبتدئاً بأعمال ١٩٦٠ التي قامت بها السيدة كينيون في جنوب الحرم في بساتين الأرمن، وقرب بوابة دمشق، وفي منطقة المرستان.

وقام الأثري "الإسرائيلي" أفيغاد بالتنقيب في الحي اليهودي بالقدس القديمة وفي القلعة. ثم قام بروسحي نفسه بمتابعة التنقيب في بساتين الأرمن وفي سفوح الأسوار الخارجية. وهناك أعمال وحفريات أخرى قام بها أثريون إسرائيليون من أمثال شيلوح وبركاى، اهتمت بالمدافن الأقل قدماً.

ويعترف بروسحي وزملاؤه جميعهم بعدم العثور على آثار محددة، بل حتى على أحجار منحوتة يمكن أن تنسب إلى سور أو هيكل أو قصر، ويعزو ذلك إلى كثافة المباني اللاحقة، وبخاصة تلك التي تعود إلى العهود الإسلامية. ويقول: "لم يعثر قطُّ على أي أثر أو شاهد للهيكل أو القصر، وإنما هي مساكن شعبية".

ويتحدث عن قوس روبنسون الذي ادعاه مازار، فنفى أن يكون هذا القوس قنطرة للعبور فوق الوادي باتجاه الهيكل. ولم يعثر فيما عدا هذا على أي أثر لمنشآت الهيكل الذي أقيم في عهد هيرودوس. بل عثر في منطقة المدافن على كتابات آرامية لا تدل قطُّ على علاقة بالعبريين، وهي تعود إلى عام ٤٠ م.

ونرى في هذه الملفات أن الحفريات الأثرية جميعها لم تقدم أي دليل على الوجود "الإسرائيلي" تاريخياً، أو على عدّ هذه المنطقة الجغرافية هي أرض "إسرائيل". إن عدم تطابق الأحداث التوراتية مع المكتشفات الأثرية كان موضع خيبة أمل كبيرة للعلماء

الذين ابتدأوا ينفصلون عن الحدث التوراتي لمصلحة الحدث المكتشف، وقد أعلن ذلك صراحة عدد كبير من العلماء من أمثال لاب وديفر وفرانكن وماتييه، بل أصبح الاعتماد على التاريخ التوراتي عبثاً يتحاشى العالم الموضوعي التنويه به. ولعل اكتشاف آثار إيبلا في تل مرديخ (سوريا)[١١] كان فاصلاً في تحويل علماء الآثار نحو الموضوعية العلمية وتجاهل الهدف التقليدي السابق، وهو تأكيد الأحداث التوراتية.

ويعد اكتشاف لفائف قمران من أهم المراجع التي تساعدنا على فهم مرحلة من مراحل التاريخ القديم، ففي العام١٩٤٧ عثر عرب التعامرة على لفائف من الرق وأوراق البردى في مناطق حول البحر الميت أهمها في منطقة قمران. ثم قامت دائرة الآثار الأردنية بالتنقيب في مساحة واسعة لمتابعة الكشف عن لفائف أخرى محتملة. ولا نريد هنا التحدث عن اللفائف النحاسية التي تضمنت معلومات عن كنوز معدنية غنية سعت "إسرائيل" فيما بعد للحصول عليها. ونكتفي هنا ببيان علاقة اللفائف المكتوبة بالعهد القديم وبعصر المسيح، وقد تبين للعلماء أن هذه الوثائق تعود إلى الأسينيين المتقشفين.

لقد تم الاستيلاء على هذه اللفائف من "إسرائيل" بعد نكسة العام ١٩٦٧ واستقرت في متحف (بيت الكتاب) في القدس، ومنعت الاطلاع عليها. ولكن بعض العلماء استطاعوا قراءة بعض هذه اللفائف قبل دخولها إلى "إسرائيل"، ومنهم العالم الفرنسي (دوبون سومير) فيما نشره في جريدة (الفيغارو الأوروبية) سنة ١٩٥٠. وتابع دراسة هذه اللفائف العالم الفرنسي (اللغرو) الذي أسهم في فكّ رموز اللفائف وقراءتها، وتحدثوا عن أسفار أشعيا وعن حقبة هي الأكثر وضوحا في بداية تاريخ المسيحية.

---

[١١]- P. Matthiae : Ebla- British Library -1977. وعفيف البهنسي: وثائق إيبلا – وزارة الثقافة – ١٩٧٧.

وتمانع السلطة "الإسرائيلية" التوسع في قراءة مضمون هذه اللفائف، بعد أن أدركت خطورتها على تاريخهم المزعوم، كما يتحفظ الفاتيكان بنشر هذه اللفائف[١٢].

علم الآثار لتصحيح التاريخ والجغرافيا:

بعد أن أعلن علم الآثار عن عدم تطابق آثار هذه المنطقة مع التاريخ التوراتي، وعن عدم إثباته لأي من الأحداث التوراتية في هذه المنطقة، ظهرت نظرية "التوراة جاءت من عسير في الجزيرة العربية" لكمال صليبي[١٣]لكي تتحدث عن جغرافيا بديلة حصرتها في منطقة محدودة جداً بعد أن كان عرضها الأرض بين النيل والفرات، ثم عرفتنا أن تلك الممالك لم تكن أكثر من قرى أو مضارب للبدو، وأن الملوك ما كانوا أكثر من رؤساء عشائر، وأن هذا المجتمع لم يشكل حضارة إلا عندما يتجاوز حدوده باتجاه الشمال.

وهكذا فإن هذا الكتاب يقدم دليلاً جديداً على أن التوراة هو كتاب أدبي ديني وأنه امتلأ بأسماء أمكنة كانت قد فسرت مواقعها على منطقة تمتد من نيل مصر إلى فرات العراق عبر بلاد الشام وسيناء، وأن هذه الأسماء لم تجد لها محلاً على هذه الخارطة الجغرافية المترامية الأطراف إلا في عسير. وإذا كان المؤلف قد حاول إيجاد الخارطة الأكثر انطباقاً على هذه الأسماء، فقد اعتمد على الشك القائم على ترجمة هذه الأسماء، بسبب التحريف في حركاتها، كما اعتمد على تأويله لأسماء المواقع الحالية في عسير مستفيداً من علاقاتها ببعضها ومن أوضاعها الطبوغرافية.

والحق أن خيبة الآمال المتتابعة التي أصيب بها علماء الآثار من التوراتيين، جعلتهم يشكون في أرض التوراة ذاتها، فإذا كانت أعمال التنقيب جميعها لم تؤكد بعد هل كانت المواقع التوراتية، مثل أورشليم أو جرار أو بئر السبع، هي ذاتها المعروفة اليوم؟ فإن هذا

---

[١٢])- انظر مجلة: Les Dossiers d' Archeologie - Paris-33-1998

[١٣])- كمال صليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب – ط٢، مؤسسة الابحاث العربية – ١٩٨٨.

يعني أحد أمرين، فإمّا أن يكون التاريخ التوراتي لهذه المواقع مزعوماً، وإمّا أن تكون هذه المواقع هي غير المواقع التوراتية.

وفي الحالتين فإن الشك يقع مرة على التاريخ التوراتي ومرة أخرى يقع على الجغرافية التوراتية، وأخيراً نرى أن الشك يقع على الزمان والمكان التوراتيين بوقتٍ واحدٍ، فإذا كان الأمر كذلك فإن الوجود الصهيوني كلّه يصبح دونما إحداثيات جغرافية أو تاريخية.

منذ العام ١٩٦٧ تتابع إخفاق هذه الحفريات التي قام بها الإسرائيليون حصراً، ممّا كشف عن تاريخ فلسطين عربي الجذور، اعتماداً على اعترافات الأثريين العاملين في فلسطين وفي بلاد الشام، وعلى نتائج حفرياتهم التي كشفت عن حضارة كنعانية امتدت منذ الألف الثالث قبل الميلاد، تعتمد عقيدة ولغة واحدة، ما زالتا تشكلان جذر الحضارة العربية السائدة.

ويؤكد وايتلام[١٤] أنّه لابدّ للعرب والفلسطينيين من إثبات تاريخهم وفضح محاولات استعمارية تعتمد على قوة عظمى، كانت تدعى "إسرائيل" القديمة، اختلقها التوراتيون وصوروها على أنها إمبراطورية بدوافع سياسية لتبرير احتلالهم أرضاً ليست لهم، في حين يرى هو "أن إسرائيل القديمة لم تكن إلا خيطاً رفيعاً في نسيج التاريخ".

لقد أراد بناة "إسرائيل" أن يوظفوا علم الآثار لتأكيد نص التوراة فلم يفلحوا. وعندما أرادت البعثة البريطانية البحث عن بوابة هيرودوتس الآدومي ٣٧ ق.م، هذه البعثة لم تعثر في حفرياتها قبل الاحتلال حول أسوار الحرم الشريف على البوابة، بل عثرت على

---

[١٤])– كيث وايتلام: إختلاق إسرائيل القديمة– إسكات التاريخ الفلسطيني– عالم المعرفة ٢٤٩ – الكويت، ١٩٩٩ وهو ترجمة لكتاب:

K. Whitelam : The Invention of Ancient Israel- The silencing of Palestinian History- London – N.Y. 1996.

ثلاثة قصور أموية اعترف العالمان "الإسرائيليان" مازار ومساعده بن دوف[١٥]، أنّها تعود إلى عهد عبد الملك بن مروان. وعندما طالب اليهود بحقهم بجدار المبكى أسست لجنة البراق الدولية وأثبتت تاريخياً أنّ هذا الجدار يعود إلى منشآت عربية إسلامية وليس لليهود حق فيه. وقد أكدت منظمة اليونسكو اليوم عروبة هذا الجدار.

ومع ذلك فإن حائط المبكى كان أول مكان صلى فيه الحاخام "الإسرائيلي" بعد احتلال القدس الشرقية في عام ١٩٦٧، ثم وُسّع الجدار خمسة أضعاف، وهدمت الأحياء القديمة التاريخية المجاورة وأُنْشِئ بديلاً عنها أحياء يهودية جديدة، وامتدت حركة التهويد إلى أنحاء المدينة جميعها على المستوى الإداري والتعليمي والعمراني، بل قد هدمت أماكن مقدسة وأحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ وسرقت كنوز كنيسة القيامة واحتلت الأراضي الوقفية المسيحية.

مصادر البحث ومراجعه:

- البهنسي عفيف: وثائق إيبلا، وزارة الثقافة، ١٩٧٧.
- الشريف ريجينا: الصهيونية غير اليهودية – عالم المعرفة ٩٦– الكويت، ١٩٨٥.
- بروتوكولات حكماء صهيون، الترجمة العربية لكتاب ملرسدن، نشر دار الحرية، دمشق، ٢٠٠٨.
- صليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ط٢، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٨.
- قاسمية خيرية: نشاطات صندوق استكشاف فلسطين، من ١٨٦٥،١٩٦٥، شؤون فلسطينية –١٠٤– بيروت– The Palestine Exploration Fund

- Dove M. Ben. :The Omayyad Sanctuary near Temple mount ,Jerusalem.

[15])– M. Ben Dove: The Omayyad Sanctuary near Temple mount ,Jerusalem - 196-1970.

- Les Dossiers d'Archeologie - Paris-33-1998.
- Les Dossiers d'Archeologie, Paris, No-165-166.
- Garstang: The Story of Jericho- London -1948.
- Kenyon: Archaeology in the Holy Land- London-1979.
- Kenyon K.: Digging in Jerusalem – London -1970.
- Kenyon K.: Digging up Jericho– London -1960.
- Matthiae P.: Ebla- British Library -1977.
- Whitelam K.: The Invention of Ancient Israel- The silencing of Palestinian History- London – N.Y. 1996.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *